كلمات في المحبة والخوف والرجاء

تأليف الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد

كلمات في المحبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فإن المحبة ركن العبادة الأعظم، فالعبادة تقوم على أركان ثلاثة، هي المحبة، والخوف، والرجاء.

وإليك هذه الكلمات المختصرة في هذا الركن الأعظم، وهو المحبة.

تعريف المحبة وحدُّها:

قال ابن القيم×: =لا تُحَدُّ المحبةُ بحدٍّ أوضحَ منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وجفاءً، فحدُّها وُجُودُها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهرَ من المحبة.

وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها؛ فحدودهم، ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص، ومقامه، وحاله، ومِلْكِهِ للعبارة+ [1].

---

[1] () انظر مدارج السالكين 3/11.

ومما قيل في حد المحبة وتعريفها ما يلي[2]:

1_ الميل الدائم بالقلب الهائم.

2_ إيثار المحبوب على جميع المصخوب.

3_ موافقة الحبيب في المشهد والمغِيب.

4_ مواطأة القلب لمرادات المحبوب.

5_ استكثار القليل من جنايتك، واستقلال الكثير من طاعتك.

6_ سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

7_ ميلك للشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك، وروحك، ومالك، ثم موافقتك له سراً، وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

8_ الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه.

9_ سفرُ القلب في طلب المحبوب، ولهجُ اللسان بذكره على الدوام.

10_ المحبة أن يكون كُلُّكَ بالمحبوب

---

[2]() انظر مدارج السالكين 3/13_18 حيث ذكر حداً للمحبة.

مشغولاً، وذلُّك له مبذولاً.

أقسام المحبة:

1_ محبة عبادة: وهي محبة التذلل، والتعظيم، وأن يقوم بقلب المُحبِّ من إجلال المحبوب، وتعظيمه ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيه.

وهذه المحبة أصل الإيمان والتوحيد، وهي التي يترتب عليها من الفضائل ما لا يمكن حصرُهُ وعدُّهُ.

ومَنْ صرف تلك المحبة لله فهو المؤمن الموحد، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في المحبة الشركية؛ حيث أشرك بالله عز وجل .

وذلك كمحبة المشركين الذين يحبون آلهتهم، وأندادهم كمحبة الله، من شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك أو غيرها كمحبة الله أو أكثر؛ فهذه المحبة أصل الشرك، وأساسه.

2_ محبة لله عز وجل: كمحبة ما يحبه الله من الأمكنة، والأزمنة،

والأشخاص، والأعمـال، والأقـوال، ونحـو ذلك؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله.
3_ المحبـة الطبيعيـة: ويـدخل تحـت هذه المحبة ما يلي:
أ_محبـة إشـفاق ورحمـة: كمحبـة الوالـد لولده، وكمحبة المرضى، والضعفاء.
ب_ محبــة إجلال وتعظيــم دون عبــادة: كمحبــة الولـد لوالـده، وكمحبــة التلميـذ لمعلمه وشيخه، ونحو ذلك.
ج_ محبــة الإنســان مــا يلائمــه: كمحبــة الطعـام، والشـراب، والنكـاح، واللبـاس، والأصدقاء، والخلطاء، ونحو ذلك.
فهذه المحاب داخلة في المحبة الطبيعية المباحـة، فـإن أعـانت علـى محبـة اللـه وطـاعته دخلـت فـي بـاب الطاعـة، وإن صدت عن محبة الله، وتُوَسِّل بها إلى مــا لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإن لــم تُعِن علـى طاعـة، ولا معصـية فهـي فـي دائرة المباحات.
فضائل محبة الله:

محبة الله عز وجل أشرف المكاسب، وأعظم المواهب، وفضائلها لا تُعد ولا تحصى، ومن تلك الفضائل ما يلي:

1_ أنها أصل التوحيد وروحه: قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي×: =أصل التوحيد، وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التألُّهِ، والتعبد، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبةُ العبد لربه، وتسبق جميعَ المحابِّ، وتَغْلِبها، ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه+ [1].

2_ أن الحاجة إليها أعظم من الحاجة إلى الطعام، والشراب، والنكاح: قال شيخ الإسلام ابن تيمية×: =ففي قلوب بني آدم محبة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبةً لما

---

[1] () القول السديد ص110.

يطعمــونه، وينكحــونه، وبــذلك تصــلح حياتهم، ويدوم شملهم.
وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فُقِد يَفْسُد الجسم، وبِفَقْدِ التأله تفسد النفس+ [1].
وقال ابن القيم×: =فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا بها.
وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم مَن ألم العينِ إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنفِ إذا فقد شمّه، واللسان إذا فقد نُطْقَه ؟ !
بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره، وبارئه، وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح.
وهذا الأمر لا يصدِّق به إلا مَنْ فيه حياةٌ، وما لِجُرْحٍ بميت إيلام+ [2].

---

[1] () جامع الرسائل لابن تيمية 2/230.
[2] () الجواب الكافي ص541_542.

3_ تسلي المحب عند المصائب:
قال ابن القيم×: =فإن المحب يجد من لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد مِنْ مسِّها ما يجد غيرُه، حتى كأنه قد اكتسى طبيعةً ثانيةً ليست طبيعةَ الخلق. بل يَقْوَى سلطانُ المحبةِ حتى يلتذَّ المحبُّ بكثير من المصائب التي يصيبه بها حبيبه أعظم من التذاذ الخليِّ (العاري من المحبة) بحظوظه وشهواته.
والذوقُ، والوَجْدُ شاهد بذلك، والله أعلم+ [1].

4_ أنها من أعظم ما يحمل على ترك المعاصي: قال ابن القيم×في معرض حديث له عن محبة الله: =وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته، ومعاصيه؛ فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي سلطانُ المحبةِ في القلب كان اقتضاؤه للطاعة، وترك المخالفة أقوى.

---

[1] () مدارج السالكين 3/38.

وإنما تصدر المعصية والمخالفة مِنْ ضَعْفِ المحبة، وسلطانِها.
وفرْقٌ بين من يحمله على ترك معصية سيده خَوْفُه من سوطه وعقوبتِهِ، وبين من يحمله على ذلك حبُّه لسيده =.
إلى أن قال×: =فالمحب الصادق عليه رقيبٌ من محبوبه يرعى قَلْبَه، وجوارحَه.
وعلامةُ صدقِ المحبة شهودُ هذا الرقيبِ ودوامُه.
وها هنا لطيفة يجب التنبه لها، وهي أن المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه؛ فإذا قارنها الإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياءَ والطاعةَ، وإلا فالمحبة الخالية عنهما إنما توجب نوعَ أنسٍ، وانبساط، وتذكر، واشتياق.
ولهذا يتخلف أثرها ومُوجَبُها، ويفتش العبد قلبه فيرى نوع محبة لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه، وسبب ذلك تجرّدها عن الإجلال والتعظيم؛ فما عَمَرَ

القلبَ شيءٌ كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعْظيمه.

وتلك من أفضل مواهب الله للعبد، أو أفضلُها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء+[1].

5_ أنها تقطع الوساوس: قال ابن القيم×: =فبين المحبة، والوساوس تناقض شديد كما بين الذكر والغفلة؛ فعزيمة المحب تنفي تردد القلب بين المحبوب وغيره، وذلك سبب الوساوس.

وهيهات أن يجد المحب الصادق فراغاً لوسواس الغير؛ لاستغراق قلبه في حضوره بين يدي محبوبه.

وهل الوسواس إلا لأهل الغفلة والإعراض عن الله تعالى ؟ ومن أين يجتمع الحبُّ والوسواس ؟

لا كان مَنْ لسواك فيها يُقَسِّم فِكْرَهُ [2]

6_ تمام النعيم، وغاية السرور:

---

[1] () طريق الهجرتين ص449_450.

[2] () مدارج السالكين 3/38.

فذلك لا يحصلُ إلا بمحبـة اللـه عـز وجـل فلا يغني القلبَ، ولا يَسُدُّ خلَّتَـه ولا يشـبعُ جوعته إلا محبتُه، والإقبال عليه عز وجـل ولو حصل له كل ما يلتذ به لم يأنس ولـم يطمئن إلا بمحبة الله_عز وجل_.
قـال ابـن القيـم×: =وأمـا محبـةُ الـرب سبحانه فشأنها غير الشأن؛ فإنه لا شـيء أحب إلى القلوب من خالقهـا، وفاطرهـا، فهـو إلههـا، ومعبودهـا، ووليهـا، ومولاهـا، وربُّهـا، ومـدبرها، ورازقهـا، ومميتهـا، ومحييها؛ فمحبتـه نعيـم النفـوس، وحيـاة الأرواح، وسـرور النفـوس، وقـوتُ القلـوب، ونـور العقـول، وقـرة العيـون، وعمـارة البـاطن؛ فليـس عنـد القلـوب السـليمة، والأرواح الطيبـة، والعقـول الزاكيـة أحلـى، ولا ألـذُّ، ولا أطيـبُ، ولا أسرُّ، ولا أنعـمُ مـن محبتـه، والأنـس بـه، والشوق إلى لقائه.
والحلاوة الـتي يجـدها المـؤمن فـي قلبـه فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصـل لـه

بذلك أتمُّ من كل نعيم، واللذة التي تنــاله أعلى من كل لذة+ .
إلــى أن قــال: =ووجَــدَانُ هــذه الأمــور، وذوقُها هو بحسب قوة المحبة، وضـعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب، والقرب منه.
وكلمــا كــانت المحبــةُ أكمــلَ، وإدراك المحبوب أتم، والقـرب منـه أوفـر كـانت الحلاوةُ، واللذةُ، والنعيمُ أقوى.
فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصــفاته أعـرف، وفيـه أرغـب، ولـه أحـب، وإليـه أقرب وجد من هذه الحلاوة في قلبــه مــا لا يمكن التعبير عنه، ولا يُعْرَف إلا بالذوق والوَجْد.
ومتى ذاق القلب ذلك لم يُمْكِنْهُ أن يقـدِّم عليه حُبَّاً لغيره، ولا أنساً به.
وكلما ازداد له حباً ازداد له عبوديـة، وذلاً، وخضــوعاً، ورِقَّــاً لــه، وحريــة مــن رق غيره+[1].

---

[1]() إغاثة اللهفان ص567.

صفات المحبوبين لله:

اللـه عـز وجـل يُحِـبُّ ويُحَـبّ، قـال اللـه تعـالى: [**فَسَـوْفَ يَـأْتِي اللَّـهُ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**](المائدة: 54).

وإليـك فيمـا يلـي إجمـالاً لبعـض صـفات الذين خصهم الله بالمحبة:

1_ التوابون.

2_ المتطهرون.

3_ المتقون.

4_ المحسنون.

5_ الصابرون.

6_ المتوكلون.

7_ المقسطون.

8_ الـذين يقـاتلون فـي سـبيله صـفًّاً كـأنهم بينان مرصوص.

9_ الأذلة على المؤمنين.

10_ الأعزة على الكافرين.

11_ المجاهدون في سبيل الله.

12_ الذين لا يخافون لومة لائم.

13_ المتقربون بالنوافل بعد الفرائض.

الأسباب الجالبة لمحبة الله:

1_ قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد به.
2_ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.
3_ دوامُ ذكرِ الله على كل حال باللسان، والقلب، والعمل، والحال.
4_ إيثارُ محابِّ الله على محابِّ النفس عند غلبات الهوى.
5_ مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته، ومشاهدتها، ومعرفتها.
6_ مشاهدة برِّه، وإحسانه، وآلائه، ونعمه الظاهرة، والباطنة.
7_ إنكسار القلب بكلِّيته بين يدي الله تعالى .
8_ الخلوة بالله وقتَ النزولِ الإلهي؛ لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بآداب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.
9_ مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايبُ الثمر، وألا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعَلِمْتَ أن فيه مزيداً لحالك،

ومنفعة لغيرك.

10_ مباعدةُ كلِّ سببٍ يحول بين القلب، وبين الله عز وجل[1].

اللهم إنا نسألك حبك، وحبَّ من يحبك، وحبَّ العمل الذي يقربنا إلى حبِّك.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1]() انظر: مدارج السالكين 3/18_19.

كلمات في الخوف[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. أما بعد:

فإن منزلة الخوف من أجلِّ منازل العبودية، وأنفعها، وهي فرض على كل أحد.

قال الله تعالى: [**فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**](آل عمران: 175)، وقال: [**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**](الرحمن: 46).

تعريف الخوف:

1_ قيل: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس.

2_ وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام.

3_ وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

---

[1]() انظر تفصيل الحديث عن الخوف في مدارج السالكين 1/507_513، وشرح كتاب التوحيد باب"إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه".

4_ وقيل: الخوف غمّ يلحق النفس؛ لتوقع مكروه.

أقوال في الخوف:

1_ قال أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد النيسابوري: الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه. فالخائف من ربه هارب إليه.

2_ وقال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

3_ وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها.

4_ وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يَزُلْ عنهم الخوف؛ فإذا زال الخوف ضلّوا الطريق.

الخوف المحمود:

الخوف المحمود الصادق: هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خِيْفَ منه اليأس والقنوط.

قال أبو عثمان الحِيْـري: صـدق الخـوف هـو الورع عن الآثام ظاهراً، وباطناً.
وقـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة: الخـوف المحمود ما حجزك عن محارم الله.
الخـــوف الـــواجب والخـــوف المستحب:
الخـوف الـواجب: هـو مـا حمـل علـى فعل الواجبات، وترك المحرمات.
والخوف المستحب: هو ما حمل على فعل المستحبات، وترك المكروهات.
الجمع بين الخوف والرجاء والحب:
لا بدّ للعبـد مـن الجمـع بيـن هـذه الأركـان الثلاثـة؛ لأن عبـادة اللـه بـالخوف وحـده طريقـة الخـوارج؛ فهـم لا يجمعـون إليـه الحبَّ والرجـاء؛ ولهـذا لا يجـدون للعبـادة لـذة، ولا إليهـا رغبـة، فيجعلـون الخـالق بمنزلة سلطان جائر.
وهـذا يـورث اليـأس والقنـوط مـن رحمـة الله، وغايته إساءةُ الظن بالله، والكفر به سبحانه .

وعبــادة اللــه بالرجــاء وحــده طريقــة المرجئة الذين وقعوا في الغرور والأماني الباطلــة، وتــرك العمــلِ الصــالحِ، وغــايتُه الخروجُ من الملة.
وعبـادة اللـه بـالحب وحـده طريقـة غلاة الصوفية الذين يقولون: نعبد الله لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنتـه، وإنمـا حبَّـاً لذاته.
وهذه طريقة فاسدة، ولها آثار وخيمة، منها الأمن من مكر الله، وغايتُه الزندقةُ، والخروج من الدين.
ولهـذا قـال السـلف رحمهـم اللـه كلمـة مشهورة وهي: =مَـنْ عبـدَ اللـه بـالحب وحده فهـو زنـديق، ومـن عبـده بـالخوف وحده فهو حروريٌ أي خارجي ومن عبده بالرجاء وحـده فهـو مرجـئ، ومـن عبـده بـالخوف والحــب والرجــاء فهــو مــؤمن موحِّد+ .
قال ابن القيم×: =القلب في سيره إلى الله عـز وجـل بمنزلـة الطـائر؛ فالمحبـة

رأسه، والخوف، والرجاء جناحاه؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيِّدُ الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر+ .

أيهما يُغلَّب: الخوف أم الرجاء ؟

قال ابن القيم×: =السلف استحبوا أن يُقَوِّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوي جناح الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره.

وقال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فَسَدَ.

وقال غيره: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف، وغلبةُ الحب؛ فالمحبة هي المرْكَبُ، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنِّه وكرمه+ .

أقسام الخوف:

1_ خوف السر: وهو خوف التَّأَلُّه، والتعبد، والتقرب، وهو الذي يزجر

صاحبه عن معصية مَنْ يخافه؛ خشيةً من أن يصيبه بما شاء من فقر، أو قتل، أو غضب، أو سلب نعمة، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته.
فهذا القسم لا يجوز أن يصرف إلا لله عز وجل وصَرْفُه له يعد من أجل العبادات، ومن أعظم واجبات القلب، بل هو ركن من أركان العبادة، ومن خشي الله على هذا الوجه فهو مخلص موحِّد.
ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر؛ إذ جعل لله نِداً في الخوف، وذلك كحال المشركين الذين يعتقدون في آلهتهم ذلك الاعتقاد، ولهذا يُخَوِّفون بها أولياء الرحمن، كما قال قوم هود عليه السلام الذين ذكر الله عنهم أنهم خوفوا هوداً بآلهتهم فقالوا: [**إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**](هود: 54).
وكحال عباد القبور؛ فإنهم يخافون أصحاب القبور من الصالحين، بل من

الطواغيت كما يخافون الله، بل أشد؛ ولهذا إذا توجَّهَتْ على أحدهم اليمينُ بالله أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإن كانت اليمين بصاحب التربة لم يُقْدِم على اليمين إن كان كاذباً.
وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله.
وكذا إذا أصاب أحداً منهم ظلمٌ لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب، وإذا أراد أحدهم أن يظلم أحداً فاستعاذ المظلوم بالله لم يُعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يُقْدِمْ عليه بشيء، ولم يتعرض له بالأذى.
2_ الخوف من وعيد الله: الذي توعد به العصاة، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وهو درجات، ومقامات، وأقسام كما مضى ذكره قبل قليل .
3_ الخوف المحرم: وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بغير عذر

إلا لخوف الناس.
وكحال من يفر من الزحف؛ خوفاً من لقاء العدو؛ فهذا خوف محرم، ولكنه لا يصل إلى الشرك.
4_ الخوف الطبيعي: كالخوف من سَبُع، أو عدوٍّ، أو هدم، أو غرق، ونحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري؛ فهذا لا يُذَمُّ ، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه السلام في قوله عز وجل: [**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ**](القصص: 21)، وقوله: [**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**] (طه: 67).
ويدخل في هذا القسم الخوف الذي يسبق لقاء العدو، أو يسبق إلقاء الخطب في بداية الأمر؛ فهذا خوف طبيعي، ويحمد إذا حمل صاحبه على أخذ الأهبة والاستعداد، ويذم إذا رجع به إلى الانهزام وترْكِ الإقدام.
5_ الخوف الوهمي: كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف

جداً؛ فهذا خوف مذموم، ويـدخل صـاحبه في وصف الجبناء، وقد تعـوذ النـبي"مـن الجبن؛ فهو من الأخلاق الرذيلة.
ولهذا كان الإيمان التام، والتوكل الصحيح أعظمَ ما يـدفع هـذا النـوع مـن الخـوف، ويملأ القلب شجاعة؛ فكلمـا قـوي إيمـان العبد زال من قلبه الخوف من غيـر اللـه، وكلما ضعف إيمانه زاد وقوي خـوفه مـن غير الله.
ولهذا فإن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلـب المخـاوف فـي حقهـم أمنـاً وطمأنينـة؛ لقـوة إيمـانهم، ولسـلامة يقينهـم، وكمـال تـوكلهم [**الَّـذِينَ قَـالَ لَهُـمْ النَّـاسُ إِنَّ النَّـاسَ قَـدْ جَمَعُـوا لَكُـمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَزَادَهُـمْ إِيمَانـاً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْـمَ الْوَكِيـلُ (173) فَـانْقَلَبُوا بِنِعْمَـةٍ مِـنْ اللَّـهِ وَفَضْـلٍ لَـمْ يَمْسَسْـهُمْ سُـوءٌ**](آل عمران: ، 173 174).
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وسـلام علـى المرسـلين، وصـلى اللـه وسلم على نبينا محمد.

كلمات في الرجاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن الرجاء ركن من أركان العبادة؛ فالعبادة تقوم على الحب، والخوف، والرجاء.

والرجاء عمل عظيم من أعمال القلوب، والنصوص الشرعية متضافرة على ذكره، والثناء في أهله.

قال الله تعالى: [**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**](الإسراء: 57).

فابتغاء الوسيلة إليه طلب القرب منه بالعبودية والمحبة؛ فَذَكَرَ مقاماتِ الإيمان الثلاثة الحب، والخوف، والرجاء.

وقال تعالى: [**مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ**](العنكبوت: 5).

وقال: [**أُلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَت اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ**]

وفي صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام: =**لا يموتن أحدكم إلا وهو**

يحسن الظن بربه+ .

وفـي الصـحيح قـال": =يقـول اللـه عـز وجل: =**أنا عند ظن عبدي، فليظــن بي ما شاء+ .**

*** حد الرجاء:**

1_ قيل: الرجاء حـادٍ يحـدو القلـوب إلـى بلاد المحبوب، وهـو اللـه والـدار الآخـرة، ويُطَيِّب لها السير.

2_ وقيـل: هـو الاستبشـار بجـود فضـل الرب تبـارك وتعـالى والارتيـاح لمطالعـة كرمه سبحانه .

3 _ وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى .

4_ وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله.

*** الجمــع بيــن الخــوف والرجــاء والحب:**

لابدّ للعبد من سيره إلى الله من الجمع بيــن الأركــان الثلاثــة؛ فــالحب بمنزلــة الرأس للطائر، والخوف والرجاء جناحاه؛ فمتى سـلم الـرأس والجناحـان فالطـائر جيد الطيران، ومـتى قُطـع الـرأس مـات

الطائر، ومتى فُقِد الجناحان فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر كما قال ابن القيم×.

*** أنواع الرجاء:**

أنواع الرجاء ثلاثة، نوعان محمودان، ونوعٌ غرور مذموم؛ فالأولان: رجاءُ رجلٍ عمل بطاعة الله على نور من الله؛ فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوه، وإحسانه، وجوده، وحلمه، وكرمه، فهذان النوعان محمودان.

والثالث: رجاء رجل متمادٍ في التفريط، والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل؛ فهذا هو الغرور، والتمني، والرجاء الكاذب.

*** الفرق بين الرجاء والتمني:**

الفرق بينهما أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك صاحبه طريق الجد، والاجتهاد.

والرجاء يكون مع بذل الجهد، وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له

أرض يبذرها، ويأخذ زرعها.
والثـاني: كحـال مـن يشـق أرضـه، ويفلَحها، ويبذرها، ويرجو طلوع الزرع.
=تسـاؤل+ أيهمـا أكمـل: رجـاءُ المحسـن ثـوابَ إحسـانه، أو رجـاء المسيء التائب مغفرةَ ربِّه، وعفوه ؟.
والجـواب: أن هـذه المسـألة وقـع فيهـا خلاف؛ فطائفة رجَّحـت رجـاء المحسـن؛ لقوة أسباب الرجاء معه، وطائفة رجّحت رجاء المذنب التـائب؛ لأن رجـاءه مُجَـرَّدٌ عن علة رؤية العمل، مقرون بالانكسـار، وذلة رؤية الذنب.
*** الرجاء لا يصح إلا مع عمل:**
فقد أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.
أما ترك العمل، والتمادي في الذنوب؛ اعتماداً على رحمة الله، وحسن الظن به عز وجل فليس من الرجاء في شيء.
بل هو جهل، وسفه، وغرور؛ فرحمة الله قريب من المحسنين لا مـن المفرطيـن،

المعاندين، المُصِرِّين.
قال ابن القيم× في شأن المتمادين في الذنوب؛ اتكالاً على رحمة الله: =وهذا الضرب في الناس قد تعلق بنصوص الرجاء، واتَّكل عليها، وتعلق بكلتا يديه، وإذا عوتب على الخطايا، والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله، ومغفرته، ونصوص الرجاء.
وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب+ [1].
ثم ساق× أمثلة عديدة لما جاء عن أولئك.
*** ضابط حسن الظن:**
قال ابن القيم×: =فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما على انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتَّى إحسان الظن.
فإن قيل: بل يتأتى ذلك، ويكون مستندُ حسنِ الظنِّ سعةَ مغفرةِ الله، ورحمته،

---

[1] () الجواب الكافي لابن القيم ص67_68.

وعفــوه، وجــوده، وأنَّ رحمَتَــه ســبقت غضبَه، وأنه لا تنفعــه العقوبــة، ولا يضــره العفو.
قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك أجلُّ، وأكرم، وأجود، وأرحــم، وإنمــا يضـع ذلــك فــي محلــه اللائــق بــه؛ فــإنه ســبحانه موصــوف بالحكمــة، والعــزة، والانتقــام، وشدة البطش، وعقوبة من يستحق؛ فلو كـان مُعَـوَّلُ حسـنِ الظـن علـى صـفاته، وأسمائه لاشترك فَي ذلك الـبرُّ والفـاجر، والمـؤمن والكـافر، ووليـه وعـدوُّه؛ فمـا ينفع المجرمَ أسماؤه، وصـفاته، وقـد بـاء بسخطه، وغضبه، وتعرض للعْنتــه، ووقــع في محارمه، وانتهك حرماته ؟ !
بل حسن الظن ينفع مَنْ تاب، وندم، وأقلع، وبدَّل السيئة بالحسـنة، واسـتقبل بقية عمـره بـالخير والطاعـة، ثـم حسَّـن الظــن بعــدها؛ فهــذا هــو حســن الظــن، والأول غرور، والله المستعان+ [1].

---

[1] () الجواب الكافي ص76_77.

فوائد الرجاء:

وبعد أن تبين لنا حدُّ الرجاء، وضوابُطه فهذه نبذه عن فوائده، وفضائله؛ فالرجاء إذا كان في محله، وعلى وجهه الصحيح يثمر ثمراتٍ عظيمةً؛ فمن فضائل الرجاء، وثمراته ما يلي:

1_ إظهار العبودية، والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه العبد من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله، وإحسانه طرفة عين.

2_ أن الرجاء محبوبٌ لله؛ فالله عز وجل يحب من عباده أن يرجوه، ويأملوه، ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد؛ فهو أجود من سئل، وأوسع من أعطى.

وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى، ويُؤمل، ويُسأل.

3_ التخلص من غضب الله؛ فمن لم يسأل الله يغضب الله عليه، والسائل راجٍ، وطالبٌ.

4_ أن الرجاء حادٍ يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيِّبُ له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته؛ فلولا الرجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.
5_ أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة؛ فإنه كلما اشتدّ رجاؤه، وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له، ورضاً به، وعنه.
6_ أنه يبعثه على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية؛ فإنه إذا حصل له مرجوّه كان أدعى لشكره.
7_ أنه يوجب له المزيد من معرفة الله، وأسمائه، ومعانيها، والتعلق بها؛ فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى، متعبدٌ، وداعٍ بها.
8_ أن المحبة لا تنفك عن الرجاء؛ فكل واحد منهما يمد الآخر، ويقويه.

9_ أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف؛ فكل راجٍ خائفٌ، وكل خائف راجٍ.
10_ أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربِّه، فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطفَ موقعاً، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يَرْجُه.
11_ أن في الرجاء من الانتظار، والترقب، والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه، وصفاته، وتنقُّلُ القلب في رياضها الأنيقة، وأخذه بنصيبه من كل اسم، وصفة.
اللهم إنا نسألك حبك، وخوفك، ورجاءك، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.

الفهرس

3 _ **كلمات في المحبة**
3 تعريف المحبة
5 أقسام المحبة
6 فضائل محبة الله
1 صفات المحبوبين لله
3
1 الأسباب الجالبة لمحبة الله
4
1 _ **كلمات في الخوف**
6
1 تعريف الخوف
6
1 أقوال في الخوف
7
1 الخوف المحمود
7
1 الخوف الواجب والمستحب
8
1 الجمع بين الخوف والرجاء والحب

8
1 أيهما يغلّب الخوف أم الرجاء؟
9
2 أقسام الخوف
0
2 **_ كلمات في الرجاء**
5
2 حد الرجاء
6
2 الجمع بين الخوف والرجاء والحب
6
2 أنواع الرجاء
7
2 الفرق بين الرجاء والتمني
7
تساؤل: أيهما أكمل رجاء المحسـن
2 ثــواب إحســان، أو رجــاء المســيء
8 التائب مغفرة ربه وعفوه؟
2 الرجاء لا يصلح إلا مع عمل
8
2 ضابط حسن الظن

9
3 فوائد الرجاء
0